

باب التربية والتعليم

المكتوب الخامس - في المدرسة الجامعة (*)

كتب في ١٠ يولييه سنة ١٨٦٠

«من أميل» الى أبيه

كلفتني بأن أجعلك على علم بدروسي فموافاة لرغبتك أقول : الجامعة التي
أختلف إليها بناء في غاية الجدة وتفتح قاعاتها للتدريس في فصل الصيف من
الساعة السابعة صباحاً الى الساعة الاولى بعد الظهر ومن الساعة الثالثة بعده الى
الساعة السادسة وتنقسم دروس الاساتذة فيها الى عامة وخاصة فالاولى تلقى
بالضرورة مجاناً ويدفع الطلبة في مقابل تلقي الثانية «فريدر يكين» ذهباً (٥٠ فرنكاً)
كل ستة أشهر وتنقسم جامعة «ين» مثل كل الجامعات في ألمانيا الى أربع مدارس
اختيارية احداها للقوانين والثانية للحكمة والثالثة للطب والرابعة للإلهيات ويتعلق
بكل من هذه المدارس الأربع فروع مختلفة يدرسها فيها رجال مخصصون بها

الجامعة تخلي بيننا وبين حرية التصرف في وقتنا ما باضاعته أو بالانتفاع به لا ي
لا أرى لاحد منها أدنى تفتيش ولا أقل هيمنة علينا في سيرتنا على أي أعنقد ماقلته
لي كثيراً من أن النظام التأديبي الناجع هو ما يفرضه الانسان على نفسه ويلتزم اتباعه

لامراء في أن أساتذة جامعتنا متضامون من العلوم غير أنني كثيراً ما شق علي
أن أتبع سلسلة أفكارهم في الدروس لسببين أولهما أن هذه الافكار ليست
في ذاتها واضحة وثانيهما أي لقلّة تعودي على تصوير فكري بالألمانية حتى الآن
أجد من الصعوبة في فهم تلك الافكار أكثر مما يجده غيري من المتعودين
ويدهشي من أمر هؤلاء العلماء أنهم على سمو مكانتهم في العلم وبعد صيتهم
مغبونون في أجر عملهم اذ استدلت على هذا بما يبدو عليهم من رقة الحال وبقناعتهم
بالبسير من العيش ورثاة ملبسهم الذي يكاد يكون وسخاً وقفرهم هذا يؤثني

(*) مررب من باب تربية الشاب من كتاب أميل القرن التاسع عشر

(٨٥ - ١٤١)

ويزيدهم في نفسي اجلالاً على اجلالهم الذي تدعوني اليه معارفهم فأولئك رجال يحبون العلم لا لكسب المال ولا للتمتع بالحطام وإنما يحبونه لما يحصله للعقل من لذاته وضروب اغتباطه

ثم ان بعض المدرسين يرتجلون الدروس مطمئنين فيها و بعضهم وهم الاكثرون يأتون بها مكتوبة فيلقونها على الطلبة وهو لاء يصغون لما يلقي عليهم ويكتبون ما يلقونه منه وقد وضعت لنفسي نمطاً في اختزال الكتابة وهو ان كنت لأشك في قصوره لأ وليته يمكنني من اثبات الحدود الأساسية لما أسمع من الجمل

ينقسم الطلبة باعتبار مذاهبهم الى كاثوليكيين وبروتستانتين متشددين يعد بعضهم نفسه للأعمال الخطائية وحكام يجتهدون في تأويل المذاهب تأويلاً مطابقاً للعقل وماديين وهم قليل يصرحون بأن زمن الديانات قد انقضى وأنه لا ينبغي اضاءة الوقت في العكوف على الملاحقة له من هواجس القرون الوسطى وأحلامها رأيتك دائماً تجتنب الخوض معي في المذاهب والاسرار الدينية واستنتجت من سكوتك عنها انك قصدت مني الاستقلال بنفسي في الاعتقاد ولقد حملتني عظيمًا قاني حتى هذا اليوم في غاية البعد عن معرفة ما يستقر عليه فكري في كثير من المسائل التي ترجفتي محاولة سبر غورها على انه لا بد من الاقرار لك بأنني لست مطرحة هذه الطائفة من الافكار ولا مغفلاً لها فكم مرة نظرت الى السماء في سكون الليل وحاولت على حداثة سني وجهلي أن أقرأ في نجومها حلاً للفرز هذا العالم واني منذ اليوم الذي شهدت فيه إلقاء جثة الملاح في البحر - وإخالك تذكره - لا ينفك عني التفكير في سر الموت حتى في أحلامي وقد سألت القبور أن تكشفه لي فلم تحمر جواباً فعمدت من عهد دخولي الجامعة الى مطالعة ترجمة الفيذا (١) الألمانية والزنداويستا (٢) والتوراة فأثرت قراءتها في نفسي تأثيراً بليغاً وكان يترامى لي منها عالم جديد ولكن من خلال ظلمات لا يسعني الا الاقرار بأنهم انقشع

(١) الفيذا كتاب الهند المقدس وهو اسم عام تحته أربعة كتب خاصة وهو الريحفيدا والسافيدا والياجورافيدا والاثارفافيدا (٢) الزنداويستا مجموع ما لأتباع زردشت من الكتب المقدسة

ولست أدري أَعكف على دراسة هذه الكتب أم أعدل عن اماطة الظلمات عما لا يتناهى فلا أشغل الأباهو ثابت محقق من نتائج العلم
 أنا الآن أحوج مني فيما مضى الى ارشادك والاستضاءة بنور علمك ومن ذا
 الذي أسترشد به وأستهديه سواك؟

جميع الطلبة يعلمون المجالدة والمناضلة وأنا مقتد بهم في ذلك فلي كل يوم
 ساعة أو ساعتان أقضيها في ممارستها لان في هذه الممارسة تمريناً مفيداً في تقوية
 الاعضاء وتمييزها ويؤكد لي العارفون من الطلبة أن أمهر المجالدين من يندر
 التحرش به. ومع اني لأرجو مطلقاً أن أبلغ في المجالدة والمناضلة مبلغ الفارس سان
 جورج (١) أود لو أثبت في قاعة الممارسة ثبوتاً كافياً أبي على علم باستعمال السلاح
 حتى يحسب الطلبة حسابي فلا يستخفون بإعضائي فان المبارزة كثيرة الوقوع
 بينهم وهم يجرحون فيها أحياناً ولكن يندر والحمد لله أن يقتلوا ومن يجرح منهم
 لا يبالي بخدش وجهه بل يعتبر ندب الجروح على ما فيها من التشويه لخلقته من
 موجبات اجلال النساء له

ثم اني أختم مكتوبي راجياً أن تثق مني بدوام محبتي لك وتعلق قلبي بك.

البدَاوة - من باب الآثار الأدبية

قصيدة من نظم حسين أفندي عبد الفتاح الجمل ويعني بالبدَاوة تلك المعيشة
 العربية الحالية من ترف المدينة لا سكنى البادية فقط

ليت البدَاوة لي مهدولي وطن	ففي الحضارة لي شغل عن الجدل
أعني بدَاوة عرب طاب مولدهم	وطاب محتدم في العصر الأول
فالأريحية فيها والنسدى خلق	ملازم لهم في الخصب والمحل
ترى العفاف لديهم مسد أروقة	محفوفة بالتقى في كل معتقل

(١) سان جورج شخص يذكرو في الاساطير انه أمهر المجالدين والمناضلين

أما الوفاء فقد حازوا الفخار به فلا ضريب لهم في كل مرتحل
لا يغدرون ولو كانت منيتهم رهن الوفاء ولا يمسون في وجل (١)
نال السموأل فيه غاية وقفت عنها الملوك وقوف العاجز الخمل
ضحى ابنه خوف غدر لو تحمله لكان للعذر فيه واضح السبل (٢)
وعاصر كان في حفظ الجوار له بيت من المجد مرفوع اللواء علي
يحمي المجار به من كل غائلة م الانس والجن بل من سطوة الاجل (٣)
وفي التقي كان عبد الله ذا ورع لا يعرف الشرف في شيء من العمل (٤)

(١) كان حنظلة الطائي وعد النعمان بن المنذر بالرجوع بعد عام لاستقبال الموت
فطلب النعمان من يضمه فضمنه شريك بن عدي . فعجب النعمان من رجوع
حنظلة وليس له داع غير الوفاء وعفا عنه

(٢) كان امرؤ القيس الكندي قد استودع السموأل سلاحاً ودروعاً وسافر
الى بلاد الروم فمات وهي عند السموأل فطلبها منه ملك كندة فلم يسلمها . فجرد
الملك عليه جيشاً وحاصره في حصنه المشهور بقوله

لنا جبل يحمله من نجيهره منيع يرد الطرف وهو كليل

فوقع ابن السموأل أسيراً عند الملك فهدده بقتله ان أبي تسليم الوديعه فأبى وقال
له ما كنت لأخفر ذمامي وأبطل وفائي فافعل ماشئت فذبح ولده والسموأل ينظر .
وانصرف الملك خائباً ولم يأخذ الوديعه غير أصصهاها الوارثين

(٣) كان الاعشى امتدح الاسود الغنصي فأجازه بشيء كثير من الخلل والعنبر
فخاف على مامعه فأتى عامر بن الطفيل فقال أجرتني قال قد أجرتك قال من
الانس والجن قال من الانس والجن قال ومن الموت قال نعم قال وكيف تيجرتني
من الموت قال اذا مت وانت جاري بعثت الى أهلك الدية فقال الآن علمت
انك تيجرتني .

(٤) هو عبد الله بن الزبير ترك عطاءه (ماهيته) في المسجد ثم أرسل خادمه

ولا بن عباس في حفظ العلوم مدى ما فيه من مطمع يوماً إلى رجل (٥)
 ماذا يقال وقد سارت مناقبهم كالشمس فينا بنور غير متقل
 وكيف للشعران يأتي على صفة الصديق أو عمر الفاروق ثم علي
 محامد طبعت فيهم وغيرهم تكلفوها وليس الكحل كالكحل
 كأنما بنت هذي الفضائل في أرجائها فنت في السهل والجبل
 فهم كأنهم يُفسدون من كرم أو انه فطرة فيهم من الأزل

بَابُ الْجَبَلِ الْأَعْلَى

الثورة في روسيا

العلم نور لا ينتشر في بلاد الاوينجاب عنها من ظلمات الظلم بقدر ما يفيض
 عليها منه فاذا تمكن في النفوس وملكتها وصار صفة من صفات عدد كثير من أهلها
 فبشر أهلها بالسعادة بعد زمن طويل أو قصير لأن العلم مع الجهل وآثاره من
 الظلم والاستبداد لا يتجاوزان على وفاق وسلام بل يفتان يتنازعان ويتصارعان
 حتى يصرع أقواهما أضعفهما وينزعه من الأرض

مقارعة العلم ومنافعه للجهل ومصارعه هي مقارعة طائفة من جند الحق لطائفة
 من جيوش الباطل والحق هو القوي المنصور، والباطل معه هو الضعيف المخدول،
 اللهم اذاهما وجدا فتجاولا وتصاولا ولكن قد يحول دون ظهور جند الحق مانع

بعد حين ليحضره فقال الخادم واننى لنا ذلك وقد دخل المسجد بعدنا كثير فقال
 عجياً! وهل بقي أحد يأخذ ما ليس له

(٥) فضل ابن عباس مشهور انما اذكر هنا انه أنشد مرة قصيدة من شاعر
 (هو عمر بن أبي ربيعة) وجرى في المجلس ما اقتضى أن ينشدها ابن عباس فانشدها
 وقد بلغت سبعين بيتاً فعجب الحاضرون فقال لم تعجبون وهل يسمع أحد شيئاً ولا يحفظه